بقيـــة من لغو الصيف

للدكتور طه حسين

ليتك لم تأمرى وليتنى لم أطع . فمن صواب الناس ما يكون خطأ . ومن خطأ الناس ما يكون صوابا . والمرء بخير ما عرف لنفسه قدرها ولم يعد بها حقها ، ولم يكلفها الحياة فى النجوم ، وقد خلقت لتحيا فى الارض .

ولقد حاولت فى غير طائل أن أعرف ما ذا كنت تنكرين من صحبتنا فى بلاد الغربة . فقد كنا نلتقى ونفترق لا يكون بيننا الا حديث نقى برىء فيه ذكر للأدب والأدباء ، وعبث بالانشاء والمنشئين . فمازلت تحبين ذلك وتظهرين كرهه ، ومازلت تسرين الرغبة فيه ؛ وتعلنين الضيق به حتى ملأت صـــدرى ضيقا بنفسى ، وحرجا بمكانى منـــك ، وخيلت الى أنى أثقل عليك ، وأكلفك من صحبتى ما لا تطيقين ؛ حتى اذا كان ذلك اليوم وليته لم يكن تقدمت الى فى الرحيل فامتنعت عليك وأسرفت فى الامتناع ، وألححت أنت وأغرقت فى الالحاح ، ولم أجد بدا من الطاعة وان كنت لها لكارها ، ولم تجدى بدا من المضى فى الأمر ، وان كانت نفسك لتحدثك فى العدول عنه .

ولم أكد استقر فى باريس ، ولم تكادى تستقرين فى مدينتك الجامعية الصغيرة حتى اتصلت بينك وبين هذه الكتب والرسائل التى لا أستطيع ان أصفها بأقل من انها برهان قوى ساطع . على اننا نخدع انفسنا عن انفسنا . ونتكلف فى ارضاء الناس واوضاعهم مالا يحفل به الناس ، ولا يلتفتون اليه ، ومالا نحتمله نحن الا فى جهد جاهد ، وعسر لاحد له

والآن وقد أضعنا من حياتنا اياما طوالا كنت تترددين فيها على حجرات الدرس فى الجامعة ، وكنت اتردد فيها على الأندية وملاعب التمثيل ، أكتب اليك وقد أنى لى أن أعود الى القاهرة . لعلك تأذنين فى أن نلتقى مرة قبل أن أعبر البحر .

ولست أدرى أيقع هذا الكتاب منك موقع الرضى أو موقع السخط ؟ ولكنى أعلم أن الايام معدودة علينا فى هذه الحياة وان من الحق أن يستطيع الإصدقاء التلاقى ثم لا يلتقون ، ينتظرون أن يتاح لهم ذلك فى يوم آخر قريب أو بعيد . فمن يدرى لعل هذا اليوم ألا يجىء ، ولعل الاحداث والخطوب أن تحول بين الأصدقاء وبين ما كانوا يقدرون من اللقاء فيه . ولو عقل الناس لما تفرقوا الا حين لا يكون من الفراق بد ، ولكن الغرور يغرهم بأنفسهم ويطمعهم فى الأيام ، فيخيل اليهم أنهم مخـــلدون وأنهم ليمرون بالحياة كما يمر الطيف بالنائم المغرق فى النوم وقد تعجبين حين تعلمين أنى لا أكتب اليك من باريس ، وانما أكتب اليك وقد دنوت منك حتى لم يبق بينك وبينى الا مسير دقائق على الأقدام . فقد وصلت الى مدينتك الجامعية مع المساء وأنا أكتب اليك وستقرئين كتابى مع الصباح فان أردت لقائى فهذا رقم التليفون ، وإن أبيت فان القطار يبرح مدينتك الى مرسيليا مع الظهر ، ولن اراك حتى اعلم بأن رؤيتى لا تؤذيك ولا تثقل عليك ، ولا تخيل اليك أنك تخرجين على ما ألف الناس من أوضاع واطوار .

عجبت للاذكياء وكبار العقول انهم ليأخذون انفسهم احيانا بمالا يلائم الذكاء ولا تسيغه العقول .

وكانت تختلف على وجهها الناصع وهى تقرأ هذا الكتاب مظاهر الوفاق والخلاف وآيات الرضى والسخط . فكان وجهها

الرسالة

تصـــدر أسبوعية

ابتداء من يوم السبت ٢ ديسمبر

وسيزاد على أبوابها المعروفة أبواب أخرى كالنسائيات والاخبار الأدبية والعلمية والثقافة العالية للسينماء والمسرح ، وستعنى بالقصص والاقتصاد والاجتماع والسياسة العالمية

خطوة جديدة وأكيدة

يشرق حينا ، وتغشيه ظلمة رقيقة حينا آخر . حتى اذا فرغت من قراءة الكتاب وضعته فى رفق أمامها على المائدة ومدت بصرها كأنما تريد أن تبلغ به أقصى الآفاق ، لولا هذه الجدران التى تقوم غير بعيد وتقف عينها عند حد محدود . وأرسلت نفسها الحرة الى أبعد مما استطاعت أن ترسل اليه بصرها السجين ، وظلت على هذه الحال وقتا لم تعرف اطال أم قصر ، ثم عادت الى نفسها وثابت إلى غرفتها من الفندق ، وأخذت كتابها برفق ، وأعادت النظر فيه . وظلت كذلك تنظر فى الكتاب ثم تدعه ، ثم تعود اليه ، حتى أدارت رأسها عن غير عمد فرأت التليفون ، فقامت عن غير عمد . وسعت إلى التليفون ، ثم تحدثت فيه عن غير عمد ، وعادت الى مكانها ، فأخذت الكتاب ونظرت فيه ، ثم نظرت فيه . ثم طوته ثم أخفته ، ثم ظهر عليها تردد شديد . كأنها تنبهت لانها أنت امرا عظيما وكأنها تراجع نفسها فى استدراك ما فات . والغاء ما قدمت من الامر ، وكأنها تفكر فى أن تتحدث الى التليفون بغير ما تحدثت به اليه منذ حين

ولكنها لم تبلغ من ذلك ما تريد لأن طرقا خفيفاً على الباب قد ردها عنه ، واضطرها إلى أن تصلح من شأنها على عجل ، وترفع صوتها آذنة بالدخول . ولم يكد ينفرج البـــاب عن صاحبها الاديب حتى أقبلت عليه باسمة تحييه وتقول فى جرأة متكلفة ، واستحياء ظاهر ، ان كنت اقبلت للوم والعتاب فعد أدراجك وارجع من حيث أتيت ، وخذ قطار الظهر . فان فى كتابك من اللوم والعتب والفلسفة والتشاؤم ما يغنى عن إضاعة الوقت . قال فان ما أضيعه من الوقت فى اللوم والعتب لن يكون شيئا بالقياس الى هذه الأسابيع الطوال التى اضعتها انت حين أبيت الا ان تقيمى هنا ، وأذهب أنا الى باريس .

قالت فذلك شىء قد كان ، وقد مضى بأثقاله وأوزاره وليس الى استدراكه من سبيل فلست أرى خيرا فى ذكره ، ولا نفعا لاعادة الحديث فيه ، قال أما أنا فأرى فى ذلك الخير كل الخير والنفع كل النفع ، لانك لم تستفيدى بما مضى ولن تنتفعى بذلك الفراق الطويل الاليم ، قالت وما يدريك ؟ قال أرأيتك لو أنبأتك بأنى سأقيم معك فى هذه المدينة وسأختلف معك الى دروس الجامعة حتى ينقضى الصيف ونعود معا الى القاهرة ، ماذا تصنعين ؟ قالت أو قادر انت على ذلك وقد انتهت أجازتك ، ولم يبق لك بد من القفول . قال فان الاجازات تمد وإن الحيل أوسع من أن تضيق وإن رسالة برقية قد ذهبت الى القاهرة خليقة أن تمنحنى من الوقت ما يتيح لى أن أختلف الى حجرات العلم بعد أن اختلفت الى معاهد اللهو والفراغ . قالت كالواجمة أوفعلت هذا؟ قال نعم قالت فعد الى باريس أو أذهب أنا اليها . قال محزونا لا بأس عليك فلن نلتقى فى هذه المدينة الا بياض هذا اليوم . ولكن كيف تريدين أن نقضيه ؟ واين تريدين أن نقضيه ؟ فما أظن أن غرفتك هذه الضيقة تسع احاديثنا وخواطرنا التى لاحد لها والتى ينبغى أن تكون حرة كالطبيعة الحرة ، ومطلقة كالهواء الطلق . وانى لاعرف من هذه الارض أكثر مما تعرفين . قالت فانى لا أعرف منها إلا الجامعة والفندق والطريق بينهما . قال أما أنا فلا أعرف الجامعة وإنما اعرف الجبل والسهل واعرف الربى والوديان ، واعرف الغابات الملتفة والرياضة النضرة ، والغدران الجارية ، ذات الصفحات النقية ، والصوت الجميل ، واعرف بنوع خاص ربوة بديعة يجرى من تحتها جدول بديع لا تقع القدم فيها الا على عشب . ولا ترى العين فيها إلا جمال الشجر والزهر ، ولا تسمع الاذن فيها إلا هفيف النسيم وحفيف الورق وغناء الطير . وقد دارت حولها طائفة من الشجر الباسق الذى ارتفع فى الجو كأنه يريد ان يبلغ السماء ، والذى مد اغصانه فى كل وجه حتى التفت واشتبك بعضها ببعض ، وهيأت فوق هذه الربوة الجميلة الهادئة غرفات جميلة هادئة تصلح لتفكير المفكرين ، وحديث المتحدثين ، والراى عندى ان نقصد الى هذه الربوة فنتفق فيها بياض هذا اليوم فانى مشوق الى ان اراها بعد ان فارقتها منذ اعوام وأن اراك فيها بعد ان فارقتك منذ ايام تعدل اعواما واعواما . قالت لا ارى بهذا بأسا ولكن على ان يسبق منك الوعد باثنتين . اما اولاهما فان تكف عن هذا العبث الذى اراك آخذا فيه . واما الثانية فان تكف عن اللوم والعتب وما يشبه اللوم والعتب من هذا التحنى الذى تحسنه ، اكثر مما تحسن أى شىء آخر ، قال زعموا ان قيمة كل امرىء ما يحسن ، فاذا كنت ترين انى ممتاز فى التجنى لا اكاد أحسن شيئا غيره وتطلبين الى مع ذلك الا اقصد اليه ولا اخوض فيه فانت اذا تريدين ان تضعينى موضع الذى يقول فيما لا يحسن ، ويخوض فيما لا علم له به . قالت ذهبنا الى هذه الربوة الجميلة الهادئة رهين بهذا الوعد ، فلك ان تختار بين الجد الخالص الذى لا عبث فيه ولا دعابة ، ولا لوم فيه ولا عتب ، ومعه ربوتك الجميلة الهادئة وغرفتك البديعة التى تصلح للتفكير والحديث ، وبينما تحب من العبث والخلط تذهب فيهما كل مذهب ، وتندفع فيهما الى غير الطريق ، قال أوحرنا فى الاختيار ، فانى اذن أختار الثانية وأوثر ان نطوف بالعبث والخلط فى شوارع هذه المدينة الصغيرة الهادئة ، لا يضيق بنا مكان الا تركناه الى مكان آخر ، ولا نستنفد فنا من فنون السخف الا عدلنا عنه الى فن آخر . فانى اصبحت ارى السخف اقوم ما فى الحياة . قالت لقد افسدتك باريس .

« البقيـــة على صفحة ٣٩ »